مفاسد تعطيل العقل

دراسة مقاصدية

في ضوء سورة البقرة

الطالب : ميثاق صادق محمود المالكي

ملخص البحث:

القرآن كتاب شفاء للعقول يُسْتشفى به من الجهل والضلال قال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) 82 الإسراء، فالقرآن بين أنواع المفاسد المعطلة للعقل في كثير من الآيات القرآنية.

وأهمية دراسة المفاسد المعطلة للعقل تُعَدُ من أهم القضايا المعاصرة التي تَمسكَ بها الغربيون لإفساد العقول العربية، فالعقل من أهم الكليات الخمس التي يجب الحفاظ عليه "فحفاظنا على العقل من المفاسد، هو حفاظنا على جميع الكليات" وتعطيلنا للعقل بالمفاسد، هو تعطيلنا لجميع الكليات، فهو العامل الرئيسي في إقامة حياتنا الدينية والاقتصادية والسياسية، فلولاه لما أقيمت حياتنا بإنسانيتها وحضارتها وثقافتها، وقد كانت طريقة القرآن الكريم متنوعة في عرضه للمفاسد مرة عن طريق الاستفهام الإنكاري، ومرة عن طريق النفي وسرد القصص وغيره، ومن ذلك نعرف أن للشارع قَصد وحِكمة من استفهامه الانكاري ونفيه للتعقل في بعض الأيات القرآنية، وسورة البقرة من السورة الظاهرة في عرض مفاسد تعطيل العقل، وسيسلك الباحث المنهج التحليلي لاستخراج هذه المفاسد

وهذا البحث يهدف إلى ما يلى:

ـ التعريف بالمفسدة، والعقل وبيان أسلوب القرآن في عرضه للمفاسد من خلال سورة البقرة.

ـ بيان المفاسد المعطلة للعقل في سورة البقرة.

وأما هيكل البحث فعلى النحو التالي:

المبحث الأول:ـ تعريف المفسدة، والعقل، وبيان أسلوب القرآن في عرضه للمفاسد.

المبحث الثاني:ـ التعريف بسورة البقرة، وبيان أهدافها المقاصدية.

المبحث الثالث: بيان المفاسد المعطلة للعقل في سورة البقرة، والتأكيد عليها.

الخاتمة:

المقدمة:

الحمدلله الذي تتحير دون إدراك جلاله العقول والخواطر، وتدهش في مبادئ إشراق أنواره الأحداق والنواظر، والمطلع على خفيات السرائر، العالم بمكنونات الضمائر، المستفتي في تدبير مملكته عن المشاور والموازر مقلب القلوب، وغفار الذنوب، وستار العيوب ومفرج الكروب.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا وحبيبنا نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين من أعطاه الله عقلا تشريفيا أضاء به بين العالمين، وصلى الله عليه وسلم وعلى آله المطهرين، وأصحابه المهتدين وأزواجه وذريته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله عزو وجل خلق الخلق من إنس وجن، وأمرهم بالعبادة قال تعالى:
(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58)) الذاريات

فأوجب الله على الأمم السابقة والأمة اللاحقة أن يحافظوا على الكليات الخمس، وهل يستطيع الإنسان أن يحافظ على هذه الكليات؟ وهناك مفاسد تعطل عقله لا شك ولا ريب أنه لن يسطيع ذلك لأن العقل هو نقطة الاتصال مع الله فبوجوده وجد التكليف وبعدمه ذهب التكليف، فالقرآن الكريم ملئ بذكر الإيجابيات التي تنمي وتطور العقل، وملئ بذكر السلبيات التي تفسد، وتعطل العقل، لذا أرتأيت أن أفعل دراسة مقاصدية في المفاسد التي يُشير الله عز وجل بأنها مفاسد معطله للعقل في سورة البقرة.

فرتأيت أن يكون موضوعي تحت مسمى (مفاسد تعطيل العقل) دراسة مقاصدية في ضوء سورة البقرة

المبحث الأول:ـ تعريف المفسدة والعقل، وبيان أسلوب القرآن في عرضه للمفاسد

اولاً : المفسدة في اللغة والاصطلاح:

المفسدة لغة:

عرفها ابن منظور فقال: (المفسدة خلاف المصلحة والاستفساد: خلاف الاستصلاح، وقالوا: هذا الأمر مفسدة لكذا أي فيه فساد.

ويقال الفساد: (نقيض الصلاح، فسد يفسُد ويفسِد وفسُدا وفُسُودا، فهو فاسد وفسِيد ولا يقال أنفسَد، وأفسدته) [1]

وقد عرفها صاحب مختار القاموس فقال (المفسدة ضد المصلحة، وفسَده تفسيداً: أفسَده وتفاسدوا: قطعوا الأرحام، وقال أيضا فسد كنصر وكرُم فساداً ضدُّ صَلُح فهو فاسد.

وذكر في غريب القرآن أن الفساد (خروج الشئ عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا ويضاده الصلاح، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة، يقال فسد فسادا وفُسُودا وأفسَده غيره)[2]

ويقال فيها: فَسَدَ: فسد اللحم أو اللبن ونحوهما فسادًا إذا أنتن أو تلف، وفسد العقد ونحوه، إذا بطل، وفسد الرجل إذا جاوز الصواب والحكمة، وفسدت الأمور إذا اضطربت وأدركها الخلل، وأفسد فلان بيني وبين فلان، وأفسد الرجلُ القوم إذا أساء إليهم ففسدوا، والفساد معروف عندهم، وكذلك المفسدة والمفاسد.[3]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ، طبعة جديدة، باب الفاء، ص3412.

[2] المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، كتاب الفاء، كتبه نزار مصطفى الباز، ج1/ 491.

[3] العامي الفصيح من إصدارات مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، باب الفاء ،ج20/ 10.

وقيل: المَفْسَدَةُ خلاف المصلحة، والجمع المفاسد[1].

وقيل: المفسدة الضرر يقال: هذا الأمر مفسدة لكذا فيه فساده، وما يؤدي إلى الفساد من لهو، ولعب ونحوهما.[2]

المفسدة في الاصطلاح:ـ

عرفها العز بن عبدالسلام من جانب عمومي فقال: المفسدة ألم أو سببه أو غم أو سببه وعبر أيضا عنها بالمنكر والقبيح والمكروه، والسيئات والضر الشر.[3]

وعرفها بن عاشور فقال: هي ما قابل المصلحة، وهي وصف للفعل يحصل بها الفساد أي الضر دائماً أو غالباً للجمهور أو الآحاد.[4]

ثانيا العقل في اللغة والاصطلاح:ـ

العقل لغة:ـ يُطلق على الحَجْر، والنَّهى ضد الحق، ومنه التثبت في الأمور، والعقل القلب والقلب العقل. والعقل هو: التميز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوانات، ويقال لفلان قلب عقول، ولسان سؤول، وقلب عقول فَهِم، وعقل الشئ يعقله عقلاً وفهمه.[5]

---

[1] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت، باب الفاء، ج2/ 472.

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار النشر ودار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، باب الفاء، ج2/ 688.

[3] مقاصد الشريعة الاسلامية عند العز بن عبدالسلام د/ عمر بن صالح بن عمر، ، ط(1) دار النفائس للنشر والتوزيع، ص108.

[4] مقاصد الشريعة الاسلامية محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق، محمد الطاهر الميساوي، ، ط(2) دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن. ص279

[5] لسان العرب، ابن منظور، ، ج9/ 326، باب عقل.

وقيل: هو العلم بصفات الأشياء من حسنها، وقبحها، وكمالها، ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين، وشر الشرين، أو مطلق الأمور.[1]

العقل في الاصطلاح:ـ

1ـ عند الأشاعرة: هو نور يضئ به طريق إصابة الحق، والمصالح الدينية، والدنيوية فيدرك القلب به كما يدرك العين بالنور الحسي المبصرات.[2]

2ـ عند علماء الكلام: هو العلم ببعض العلوم الضرورية، كالعلم بوجوب تحيز الجرم، واستحالة عروه عن الحركة، والسكون وجواز إحراق النار، وغير ذلك.[3]

فالذي يظهر لي من خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية للمفسدة والعقل :

أن مفسدة تعطيل العقل هي: جميع السلبيات المضاده للإيجابيات، ووسائلها المعطلة للعقل سواً من الجانب الحسي، أو الجانب المعنوي.

ثالثا بيان أسلوب القرآن في عرضه للمقاصد:

المعروف والمقرر شرعا وعقلا واعتقاداً أن القرآن الكريم يحتوي على أعلى المقاصد وأرقاها وأفضل المصالح وأعظمها، فهو أصل الأصول ومصدر المصادر، وقاعدة البناء الحضاري الذي يهدف إلى الاعمار والتنمية، والازدهار والتقدم والصلاح، وغير ذلك من الغايات والمقاصد التي ترنو جميع الشعوب والأمم إلى تحقيقها وتحصيلها وعليه يمكن تبين اسلوب القرآن في عرضه للمقاصد من عدة حيثيات:ـ

---

[1] القاموس المحيط مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرزو أبادي، ، دار الحديث، ص1122.

[2] شرح كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، الإمام علاء الدين عبدالعزيز بن أحمد البخاري، ضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادي، ط(3) دار الكتاب العربي بيروت، ج2، 732.

[3] حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد الإمام البيجوري، ص273.

1 ـ من حيث الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها:ـ

فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة، ومفاسدها، لأن مصالح الآخرة خلود الجنان ورضا الرحمن، مع النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من نعيم مقيم، ومفاسدها خلود النيران وسخط الديان مع الحجب عن النظر إلى وجهه الكريم، فيا له من عذاب أليم.)[1]

2ـ من حيث الإشارة الى عدم وجود السبب:ـ

قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد24)

فسبب عدم وجود التدبر هو اعراضهم عن مقاصد القرآن[2]

3ـ من حيث الإشارة الى المقصد العام:ـ

قال تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)(البقرة 185)

في هذه الآية إشارة إلى مقصد عام من مقاصد الشريعة وهو التيسير، ورفع الحرج.

4ـ من حيث العرض للمقاصد الجزئية:ـ

قال تعالى(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) التوبة 103 في الآية " عرض لمقاصد جزئية من تشريع الزكاة وهو تطهير النفس وتزكيتها."[3]

5ـ من حيث الإجمال:ـ

---

[1] قواعد الاحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، دراسة وتحقيق، محمود بن التلاميد الشنقيطي، ، دار المعارف بيروت، لبنان، ج1/ 10.

[2] موسوعة أصول الفقه (18)، موقع روح الإسلام (www.islamspirit.com) مؤلفا موافقا للمطبوع الأصدار الأول ج 40/ 283.

[3] مقاصد التشريع الإسلامي، د / يوسف الشبيلي، ، دروس ألقيت في المعهد الاسلامي بواشنطن، ص2.

فالمقصد من الخلق هو عبادة الخالق تعالى، والامتثال إليه، وإصلاح الخلق، وإسعادهم في العاجل والآجل، وقد دلت آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) الذاريات 56.

وقال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) المؤمنون115.

وقال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) الإسراء 9

أيضاً من حيث الإجمال ثبتت الكليات الشرعيه الخمس حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.[1]

6ـ من حيث تحديد الكثير من الحكم والعلل والأسرار الجزئية:ـ

كعلة اعتزال النساء في المحيض: قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (البقرة 222)

وحكمة تشريع الحج التي هي تحصيل المنافع وحكمة تشريع الصوم التي هي تحصيل التقوى وغيرها وحكمة تشريع الزواج التي هي السكن والمودة وغيرها من الحكم.[2]

7ـ من حيث التدريج والنسخ في أحكام القرآن الكريم:ـ

كدفع الحرج والمشقة، وإقرار التيسير والتخفيف، ومراعاة العادات الحسنة ومصالح الناس.[3]

8ـ من حيث الترجيح بين معاني القرآن، والتوسيع على المكلفين:ـ

---

[1] الاجتهاد المقاصدي حجيته وضوابطه ومجالاته، د/ نور الدين بن مختار الخادمي، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية قطر، ط (1 ، جمادي الأولي 1419، ج1/ 70.

[2] نفس المصدر ط (1) ص70، 71.

[3] نفس المصدر، ط(1) ص 75.

لئلا ينحصروا في رأي واحد أو مذهب واحد، فالله لم ينصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة بل جعلها ظنية للتوسيع على المكلفين.[1]

المبحث الثاني: التعريف بسورة البقرة، وبيان أهدافها المقاصدية.

سورة البقرة تُعَد سورة مدنية بالإجماع[2] وقيل: نزلت في مدن شتى، وقيل نزلت أول سورة بالمدينة إلا قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) (البقرة281) ولها عدة اسماء، فقد حَفِلتْ بالأحكام، فقد تكلمت عن المؤمنين، وعقب ذلك تكلمت عن الكافرين، ثم تكلمت عن المنافقين، ثم دعت الناس لتوحيد رب العالمين أجمعين، ثم نزلت نزلات استطلاعية، نزلات نسفٍ وإبادةٍ على بني إسرائيل، فلما انتهى الله من بني إسرائيل أتى بالأحكام، ما بين نكاح وطلاق وقصاص، وما بين صيام وحج، ثم ختمها بالنفقة.

وعليه فقد قسمت هذا المبحث الى مطلبين:

المطلب الأول: اسماء سورة البقرة:ـ

لكل سورة من القرآن الكريم اسماً تحمله، واسمها موجود فيها يدل على سبب تسميتها به، فكذلك سورة البقرة فقد سميت بعدة اسماء، هذه الاسماء لم تكن بوضع واضع وإنما بوحي من الله عز وجل على لسان نبية محمد صلى الله عليه و سلم فمن هذه الاسماء التالي:

ـ البقرة:.

هذا الاسم هو المشهور كما ورد في الصحيح عن ابن مسعود هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة وهو معارض لما روي من منعه، وتعين أن يقال: السورة التي ذكر فيها البقرة، وكذلك في القرآن كله، ومن ثمة أجاز الجمهور ذلك من غير كراهة.[3]

---

[1] نفس المصدر، ط(1) ص76، 77.

[2] تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار الشيخ الإمام محمد عبده، ، ط(2 ـ 1366هـ / 1947م) دار المنار، ص105.

3 روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني الألوسي، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي، ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج1/ 98.

ووجه تسميتها أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل أن يذبحوها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك وهي مما أنفردت به هذه السورة بذكره.[1]

ـ الزهروان:

أشتركت بهذا الاسم مع سورة آل عمران، ومما يدل على ذلك حديث عبدالله بن بريدة قال كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول: تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان يضلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان أو غيايتان، أو فرقان من طير فواق.[2]

ـ سنام القرآن وذروته:ـ

أي أعلاه وهذا ليس علماً لها، ولكنه وصف تشريف.[3]

فقد روى الإمام أحمد عن معقل ابن يسار أن رسول الله صلى لله عليه وسلم قال: البقرة سنام القرآن وذروته، نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا واستخرجت الله لا إله الا هو الحي القيوم من تحت العرش، فوصلت بسورة البقرة.[4]

ـ فسطاس القرآن:

أي ما يحيط بالمكان، لإحطتها بكثير من الأحكام.[5]

وكان يسميها بهذا الاسم هو خالد بن معدان.[6]

---

[1] التحرير، والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ج1/ 201.

[2] تفسير القرآن الكريم، ابن كثير الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، ، تحقيق مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماوي، على أحمد عبدالباقي، حسن عباس قطب، ط(1) مؤسسة قرطبة طباعة نشر وتوزيع، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ج1/ 242. حاشية .

[3] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص201.

[4] ابن كثير، ص235.

[5] ابن عاشور، التحرير والتنويرص 201.

[6] ابن كثير، ص248.

والذي يمكن أن أقواله مما سبق أن كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى، وهذا مما يدل على تميزها على بقية السور في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أهدافها المقاصدية.

إن لكل شئ هدف ومقصد فالقرآن الكريم هدفه إخراج الناس من الضلمات إلى النور، فسورة البقرة تُعد من أجل السورة في القرآن التي تشتمل على أهداف وغايات كثيره، وما عكف ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ على تعلمها ثمانية سنين إلا لأنها تحتوي على أوامر وأحكام وأمثال أكثر من غيرها، فقد جمعت ما استطعت أن أتوصل إليه من الأهداف، فمن هذه الأهداف هي:ـ

ـ إزالة الشك الذي يفسد العقل، والعقيدة وأشار الى ذلك القرآن الكريم في بداية السورة فقال تعالى: (أ لم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة 2)

ـ لم تكن بدعوتها والإرشادات الموجودة فيها لجهة معينة أو طائفة مخصوصة، بل القصد والهدف منها الدعوة العامة، فقد بدأت بالمؤمنين ثم الكافرين ثم المنافقين وكذلك ما هو مشترك بين قوم موسى ومحمد من نسب إبراهيم المتفق على فضله [1] والهدف من ذلك توضيح أن دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عامة.

ـ في وضعها للأحكام فقد شملت العبادات كالصلاة، وإيتاء الزكاة بمدح أهلهما في الآية الثالثة، والأمر بهما في الآية مائة وعشرة، وأحكام الصيام في آية مائة وثلاثة وثمانية، ومائة وسبعه وثمانين، وأحكام الحج والعمرة في آية مائة وسته وتسعين ومائتين وثلاثه، وغيرها من العبادات، والمعاملات مثل حضر الربا والأمر بترك ما

بقى منه والاكتفاء بروؤس الأموال في آية مائتين وخمسة وسبعين، ومائتين وخمسه وثمانين، وغيرها من المعاملات، والجنايات مثل احكام القصاص في القتلى وهو المساوة فيها وحكمته في آية مائة وثمانية وسبعين ومائة وتسعة وسبيعن، وغيرها من الأحكام.[2]

---

[1] محمد عبده، تفسير المنار، ص105، 106، 107.

[2] نفس المرجع السابق، 109، 110.

أَرى والله أعلم أن الهدف والقصد من ذلك التسهيل واظهار العبادات وحزئياتها للمؤمن لكي يسهل عليه الإطلاع على أحكام الشريعة الرئيسية حتى لا تكون متفرقة ومتشعبة في سُورِ القرآن كلها فقد يصعب على العقل إدراكها والتطلع عليها.

المبحث الرابع: بيان المفاسد المعطلة للعقل والتأكيد عليها.

سورة البقرة تعد من أهم وأجل السور الكبيرة، التي ذكر فيها الكثير من الأوامر الإيجابية، والمنهيات السلبية التي تفسد وتعطل العقل فمن خلال تناولي للسورة بينت عددا من المفاسد المعطلة التي أراها ضرورية ورئيسية، وأكدت عليها بآيات من السورة نفسها موضحا بما أشار به المفسرون.

فمن المفاسد التالي:ـ

ـ الكفر مع وجود الإنذار أو عدمه:ـ

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) البقرة (7)

يقول محمد عبده في تفسيره (وليس الختم على القلوب والإسماع ولا الغشاوة على الأبصار هنا حقيقة كما توهمه بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية بل ذلك جاز على طريقة المجاز بأن جعل قلوبهم أي عقولهم في عدم نفوذ الإيمان، والحق والإرشاد إليها على طريق الإستعارة بتشبيهه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة ثم قال:... ولك أن تجعل الختم والغشاوة مجازا مرسلا بعلاقة اللزوم والمراد اتصافهم بلازم ذلك وهو أن لا تعقل ولا تحس.) [1]

الظاهر إن الله لن يوجب العذاب العظيم إلا إذا وجدت مفسدة وهي الكفر، حتى ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصراهم وإذا خُتم القلب[2] فهو خَتم للعقل، فلن يصل إليهما الخير النافع.

ـ الكذب:

---

1 تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ج1/ 255، الدار التونسية للنشر.

[2] لسان العرب لابن منظور، المذكور في القرآن الكريم، ومعلوم أن القلب هو العقل والعقل هو القلب يقال قلب عقول، ولسان سؤول، وقلب عقول أي فَهِم، ينظر ، ج9/ 326. باب عقل.

قال تعالى(فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (البقرة 10) جُعل الكذب في هذه الآية سببا، ووسيلة لإضعاف قلوبهم،لأن القلوب هي محل الفكرة، وأطلق القلوب هنا على محل التفكير، وزدياد المرض فيها والمرض " عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائد هؤلاء المنافقين.)[1]

ـ الأمر بفعل البر وعدم العمل به:ـ

قال تعالى: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) البقرة 44

نفى عنهم وصف العقل فكيف يثبت لهم وصف العلم على الأطلاق.[2]

فلماذا نفى عنهم وصف العقل وهو التميز ؟ لا شك في ذلك أنه أمرهم بالبر ونسيان أنفسهم بفعله إذا الأمر بفعل البر وعدم العمل به تعد مفسدة معطلة للعقل.

ـ مخالفة الأوامر الربانية:ـ

قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) البقرة 36

نهاهم الله عز وجل من الإقتراب من الشجرة، وبين لهم عاقبة المقترب بأنه سيكون من الظالمين" أي العاصين" والعصيان مفسدة تعطل العقل.

ـ الإخلاء الى الشيطان:ـ

قال تعالى:(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) (البقرة14) الشياطين جمع شيطان وهي نوع من المخلوقات المجرده طبيعتها الحرارة النارية، وهم من جنس الجن ويطلق الشيطان على المفسد ومثير الشر[3] وهذا واضح أنه مفسد ومعطل للعقل.

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، القاضي أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشامي محمد، ط(1) دار الكتب العليمة بيروت لبنا، ج1/ 92.

2 تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1/ 472.

[3] نفس المرجع، ج1/ 290.

ـ شراء الضلالة بالهدى:ـ

قال تعالى:(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) (البقرة 16)

المقصود بالاهتداء المنفي في الأية هو الاهتداء بالمعنى الأصلي في اللغة وهو: معرفة الطريق الموصل الى المقصود، ومعنى نفى الاهتداء كناية عن إضاعة القصد أي أضاعوا ما سمعوا له وما يعرفوا ما يوصل الخير وما يضر المسلمين، وهو نداء عليهم بسفه الرأى[1] وهذا يدل على فقد التميز للاهتداء حتى يميز الخير من الشر، والسبب في ذلك هو وجود مفسدة معطلة للعقل، وهي شراء الضلالة بالهدى.

ـ عدم الاتعاظ والاعتبار بالآيات:

قال تعالى: (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة74)

يخاطب الله اليهود الذين اشتدت وصلبت قلوبهم من بعد ما شاهدوا الآيات من المسخ ورفع الجبل فوقهم وغيرها من الآيات فشبه قلوبهم بالحجارة في القسوة وعدم المنفعة، وإنما عنى بهذه القسوة تركهم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا صدقه وقدرة الله تعالى على عقابهم بتكذيبهم إياه.[2]

إذا ما سبب تشبيه قلوبهم بالحجارة وما سبب تفضيل الحجارة على قلوبهم ؟ الجواب واضح وهو عدم وجود المنفعة وعدم وجود المنفعة يدل على وجود مفسدة أثرت فيها وعطلتها وهي عدم الاتعاظ والاعتبار بالأيات القرآنية.

ـ الجهل والتحريف:

(فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ)البقرة 79.

---

[1] نفس المرجع، ص301.

[2] التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم، الدكتور وهبة الزحيلي، ص12، دار الفكر دمشق ـ سوريا

الويل: لفظ دال على الشر والهلاك فقد نُسب الويل لمن يغير، ويحرف في كتاب الله وينسبه إلى الله وسبب ذلك التحريف، وجود وسيله مفسدة عطلت عقولهم، وهي: الجهل، وقد أشار بن عاشور في تفسير قوله: تعالى" لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا " فقال (إن الثمن المقصود هو إرضاء العامة بأن غيروا لهم أحكام الدين على ما يوافق أهوائهم أو انتحال العلم لأنفسهم مع أنهم جاهلون)[1]

ـ التصميم على الكفر والإعراض عن الحق:ـ

قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ) البقرة 88

يقول ابن عاشور: (القلوب مستعملة بمعنى الأذهان على طريقة كلام العرب في اطلاق القلب على العقل والغلف بالظم جمع أغلف وهو شديد الغلاف، وهو الوعاء الساتر للقلب من كل ما يكره، فلعنهم الله بسب استكبارهم وتصميمهم على قولهم.)[2]

إذا تكون العلة من ترتيب اللعنة عليهم وطردهم من رحمة الله ـ عز وجل ـ هي: وجود مفسدة في عقولهم وهي التصميم على الكفر والإعراض عن قبول حجة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ـ تَدْريسُ السحر:

قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) البقرة 102.

---

[1] التحرير والتنوير، ج1/ 577.

[2] نفس المصدر، ج1/ 599.

فالسحر هو: الشغوذه وتمويه الحيل بإخفائها تحت حركات وأحوال يظن الرائي أنها هي المؤثرة مع أن المؤثر خفي وأشار أيضا في تفسير قوله تعالى: " فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ " أن التفريق يكون باستعمال مفسدات لعقل أحد الزوجين حتى يبغض زوجه وإما بإلقاء الحيل والتمويهات، والنميمة حتى يفرق بينهما)[1] أقول: مما يتبين من خلال الآية بوضوح والله أعلم أن تدريس السحر له أضرار جسيمة منها أضرار معنوية وأضرار حسية.

أما الأضرار المعنوية فيعتقد المسحور أن الساحر قد أوجد شئيا معجز لم يستطيع الآخر أن يقوم به فقد يعتقد بأنه الإله والقوي والخالق وغيره فيتأثر العقل بهذه المفسدة المعطلة.

أما الأضرار الحسية: قد يصاب الإنسان بالمرض حتى يضعف الجسم وبضعف الجسم وهزالته يتأثر العقل من الجانب الحسي.

ـ أكل الحرام:ـ

قال تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة 168)

المراد بالحلال الطيب هو: (ما تستطيبه النفوس بالإدراك المستقيم السليم من الشذوذ، وهي النفوس التي تشتهي الملائم الكامل أو الراجح بحيث لا يعود تناوله بضر جثماني أو روحاني)[2]

أقول: أن علماء الأصول يقولون في قاعدة أصوليه (الأمر بفعل الشئ نهي عن ضده) فأمره سبحانه بأكل الحلال نهي عن أكل الحرام، وعلة النهي لما فيه من مضرة عائدة على محسوسات الإنسان أو معنوياته كنفسه وعقله.

ـ التقليد الأعمى:

[1] نفس المصدر، ج1/ 630.

[2] نفس المصدر، ج2/ 102.

قال تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) البقرة 170.

في هذه الآية (يأمرهم الله تعالى أن يتبعوا أي يتمسكوا ولا يتبعون من دونه أولياء فجنحوا إلى التقليد قالوا: بل نتبع كبراءنا، وأسلافنا من عبادة الأصنام، وغيرها، فوصفهم الله بأنهم قوم لا يعقلون)[1]

فالذي أراه أنهم يستطيعون السمع، والنظر والفكر فهناك وسيلة جعلتهم كالبهائم التي ينادى لها فتسمع النداء فلا تعرف ما معنى النداء، فلذا وصفهم بأنهم لا يعقلون وعدم التعقل للأشياء يدل على وجود مفسدة معطلة للعقل وهي التقليد الأعمى لأبائهم.

ـ تعاطي الخمر:ـ

قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) البقرة219

الخمر: اسم مشتق من مصدر خَمَر الشئ إذا سَتره، وسمي خمرا لأنه يستر العقل عن تصرفه الخلقي[2]

والحكمة من قوله تعالى: لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أي ليبقى لكم الفكر، والعقل محفوظا ما لم تقربوا مفسدته المعطلة كالخمر وغيره من المسكرات.

ـ نكاح المشركات:ـ

قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) البقرة 221

---

[1] حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبدالله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، دار طوق النجاة، ج3/ 99 .

[2] التحرير والتنوير، ص341.

أي لا تزوجوا الكفار من المؤمنات سواء كان الكافر كتابيا أو غيره وسواء كانت المؤمنة أمة أو حرة فهؤلاء يدعون إلى النار أي الكفر المؤدي إليهما إما بالقول أو المحبة، والمخالطة فلا تليق مناكحتهم والمؤمن يجب أن يكون حذرا عما يضره في الآخرة، فالنفس والشيطان يعاونان على ما يؤدي إلى النار.[1]

فالذي أراه والله أعلم أن العلة من نهيه ـ عز وجل ـ نكاح المشركات، لأن المشركات عقيدتهن غير العقيدة التي يدركها العقل السليم المؤمن بالله ـ عز وجل ـ ولهن أيضا عادات وتقاليد مخالفة لتقاليد الشريعة المحمدية،

فمن خلال مخالطة المؤمن المشركه المتزوج عليها سيبادلها فعل العادات والتقاليد الفاسدة إما في الاعتقاد أو القول أو العمل فيفسد عقله.

الخاتمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وبعد فقد ختمت هذا البحث بعدة نتائج هي كالتالي:

1. يجب التنبه الى مفاسد تعطيل العقل ووسائلها حفاظا على سلامة ديننا وعقيدتنا.

2. اسلوب القرآن في عرضه للمقاصد لم يكن اسلوبا واحدا فقد تعددت الأساليب في عرض المقاصد بين الأمر والنهى، والإجمال، والتدريج، والنسخ، والترجيح، والإشارة الى عدم السبب، والإشارة الى المقصد العام، والعرض للمقاصد الجزئية، وهذا يدل على إعجاز القرآن الكريم والمعجزة لا يتسطيع احد إعجازها.

3. كثرة الأسماء لسورة البقرة يدل على شرفها وتميزها على بقية السور.

4. القصد من كثرة الأحكام والأمثال، والمواعظ، واظهار العبادات وجزئياتها هو التسهيل والتيسير على القارئ، حتى لا تكون متفرقة ومتشعبة فيصعب على العقل إدراكها.

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج1/ 120.

قائمة المصادر والمراجع:

1ـ الاجتهاد المقاصدي حجيته وضوابطه ومجالاته، د/ نور الدين بن مختار الخادمي، سلسلة دورية تصدر كل شهرين عن وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية قطر، ط (1 ، جمادي الأولي 1419، ج1/ **70**

2ـ حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد الإمام البيجوري، ص273.

3ـ شرح كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، الإمام علاء الدين عبدالعزيز بن احمد البخاري، ضبط وتعليق وتخريج محمد المعتصم بالله البغدادي، ط(3) دار الكتاب العربي بيروت، ج2/ 732.

4ـ العامي الفصيح من إصدارات مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، باب الفاء ،ج20/ 10.

5ـ القاموس المحيط مرتب ترتيبا ألفبائيا وفق أوائل الحروف، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرزو أبادي، ، دار الحديث، ص1122

6ـ قواعد الاحكام في مصالح الأنام، أبو محمد عز الدين عبدالغزيز بن عبدالسلام السلمي، دراسة وتحقيق، محمود بن التلاميد الشنقيطي، ، دار المعارف بيروت، لبنان، ج10/1.

7ـ لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبدالله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ، طبعة جديدة، باب الفاء، ص3412

8ـ مقاصد التشريع الإسلامي، د / يوسف الشبيلي، دروس ألقيت في المعهد الاسلامي بواشنطن، ص2.

9ـ موسوعة أصول الفقه (18)، موقع روح الإسلام، مؤلفا موافقا للمطبوع الأصدار الأو ج 283/40 (www.islamspirit.com).

10ـ مقاصد الشريعة الاسلامية محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق، محمد الطاهر الميساوي، ، ط(2) دار النفائس للنشر والتوزيع الأردن، ص279.

11ـ مقاصد الشريعة الاسلامية عند العز بن عبدالسلام د/ عمر بن صالح بن عمر، ، ط(1) دار النفائس للنشر والتوزيع، ص 108.

12ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار النشر ودار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية، باب الفاء، ج2/ 688.

13ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية ـ بيروت، باب الفاء، ج472/2

14ـ المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، كتاب الفاء، كتبه نزار مصطفى الباز، ج1/ 491